عم جمعة

بقلم : كمال مرسى

كانت الشمس طالعة ...

ورداد مطر خفيف يغسل ـ بالرغم منها ـ كل شيء ...

أسقف اكشاك الصحف وأسفلت الطريق الكبير ، والعربات ، وكلبا ضالا هزيلا يحاول عبور الشارع فتكاد تدهمه السيارات ...

ويوقف الكلب قليلا ... محتميا بجدار المراحيض المدفونة فى بطن الطريق فلا يكاد يبين منها سوى سقفها المنحنى ، وهو جسمه مرة ... او مرتين ليتفض عن شعره حبات الماء ... ثم تابع سيره ...

كان المطر المنهمر قد انقطع ... وبقيت الشمس وحدها ... وغادر (عم جمعه) المكان الذى احتمى فيه بجوار كشك الصحف وهو يتفقد بيديه المعروقتين حبات الماء قبل أن تتسربها معطفه المهلهل ...

ـ ما هو يدرى يا عم جمعة ...

قالها (عباس) صاحب كشك الصحف بصوته الرفيع المرح الودود .. لكن عم جمعه هز كتفه وقال فى ملل وهو يشير برأسه الى السماء

ـ آمى بطلت ...

ـ طيب وماله .. آدته مؤاخسا .

فى هذه اللحظة تماما حاص سيارة جديدة تريد الانتظار فى الموقف فاسرع عم جمعه ناحيتها قائلا

ـ هات ورا يا بيه ... اكسر بميتك قوى ... هات ... هات ...

بس ...

ثم راح يرفع رجاج النافذة الأمامية لبقعله .. وهبط (البيه) من السيارة ثم اغلق بابها بمفاتيح فى يده وهو يرمق عم جمعه فى ريبة فعدل هذا من وضع البرة النحاسية فوق ذراعه ولم يقل شيئا ...

وراح عم جمعه ـ على غير عادته ـ يتتبع بنظره الكليل ، البيه حتى اتخذ وعبر الشارع الكبير ورآه يقف هناك ... بين الرحام .

ـ بيه ... احنا اصطبحنا برش من النهارده .. ؟

البيه لا بد سيدخل (السينما) ما دام قد وقف فى الطابور الطويل المنتظر أمام شباك التذاكر ... ومعنى هذا ان صباحا آخر سيضيع عليه لأنه سيخرج من السينما فى الساعة سبعة ووردية عم جمعه ستنتهى فى الرابعة

... وسيأتي (الواد عكاشة) ليستلم الموقف مكانه ... وطبعا سيقبض من السيارات التي ستغادر الموقف في ورديته ... هكذا شاء الرؤساء أن يقسم العمل بينهم .. وحده أرزاق ...

وراح جمعه يدندن بموالد البلدي (يا ميت ندامه على اللي حب ولا طالش) والصوت يسمعه حافنا شجيا تختلط به مرة ساخرة في شجن .. وهو يدور حول السيارة الجديدة يتطلس على علق أبوابها .. ويعاود برمق طاهر السيما وهو يدوب سريعا امام شباك التذاكر فتبتلعه الابواب الفخمة ... وتذكر جمعه طوابير اخرى طويلة ... عكسية ... طوابير من النساء كانت امرأته المريضة تقف فيها ساعات بحالها .. وطفلته أنيسة الصغيرة تلوذ بذيل جلباب أمها الأسود لكيلا يضيع في الزحام ... وراحت حكاية (البنت انيسة) تطفو الى رأسه ... الحكاية بكل تفاصيلها التي تزرق لياليه حتى تصير كالفحمة عند ايام والنية ... أنيسة الصغيرة ... حالها عجب ... لا كفت عن لعبها مع أولاد الحيران وتكومت في استكانة دليلة بجوار امها المريضة الراقدة على المرتبة الممدودة على أرض الحجرة الرطبة ... ولا تريد أن ترخي عينيها عن وجه امها الذابل كالسبوتة محمورة ...

وبالامس .. بالامس فقط اسكت السؤال الذي كان حائرا منذ أيام في عينيها الواسعتين ... اسكت عن سمعه كلمة كلمة ، كلها محروقة كأنها دموع ترتجف على الشفاه الصغيرة .

ـ صحيح يابا ، الحمه اللي تجيب دم ... مش ممكن تطيب ؟

ـ هس .

واستبانت احاديثه في حشرجة مجروحة خانعة حتى لا تفيق الأم المريضة من غفوتها ... ولكنه لا يذكر ما قال وقتها ... كل الذي يعرفه الآن انه لا يستطيع أن يفعل شيئا فقد حرمت امرأته الوقفة في تلك الطوابير الطويلة امام المستشفيات .. في بولاق .. في الدرب الاحمر .. واحيانا في الروضة

صحيح انه قال مرة للطبيب أنيسة ان الطب هذه الأيام تقدم ولكن عياله ... منصور وخليل الصغير يمصخون أولا فأول كل قرش يدخل في جيبه .. وعم جمعه لا يستطيع لذلك ان يرسل امرأته الى طبيب خاص ...

ـ يا واد يا عبد ... سحر ... ان شاء الله ما حد حوش ... قالها عم جمعه بصوت مشروخ عال ليهرب من خواطره .. وطارت سيجارة من كشك الصحف فتلقفها جمعه شاكرا ووضعها خلف اذنه ... ثم سار يخطي مكدودة بين السيارات المرصوصة حتى وصل الى المراحيض فجلس فوق سقفها المنحفص ... ووضع ساقه الخشبية بجواره .. وأحس بعد ما جلس كأن ساقه السليمة لغرط تعلها قد استحالت الى عمود من رصاص فاحد ينظر الى أصابع قدمه وهي تطل من ثقب كبير في جرمقه الكاوتش ... ثم راح يلعب هذه الاصابع .. وابتسم وهو يرفع صوته

ـ انت يا لي هناك .. بتعمل ايه عندك ... ؟؟

ومن بعيد اشتار رجل عارق في الاسمال الى كوم السيارات في يده .. كان جمعه يحسبه يعبث باحدى السيارات ... وعادت عيناه تطوف بالموقف كله ... ثم يعد في الفضاء الفسيح الواقع بين مبنى المحكمة والمراحيض مكان لسيارة أخرى ...

ان عم جمعة يخشى السيارات ويكرهها منذ اكلت ساقه ، سيارة مجنونة في شارع القلعة ... ولكنه بعد ان فصلوه من الورشة لاصابته لم يجد غير شغله (المنادى) وقربها .. واصبح عليه ان يحرس تلك السيارات التي يمقتها ... وان يدور حولها كالمجنون طول النهار وعيناه في وسط رأسه حتى لا تصاب سيارة منها بخدش ...

ودار في هذه اللحظة محرك سيارة كانت في الموقف فاصغى فجأة الملل الراكد في عيني عم جمعه فابصرى يصيح بحماس

ـ أيوه يا بيه ... حاي ...

ثم اسرع يعبر الطريق الضيق بين السيارات المرصوصة وساقه الخشبية تدق الاسفلت اللامع في خطوها المألوف نحو السيارة ...

وبدأت تتحرك ...

وعم جمعه كاد في اسراعه ينكفيء على وجهه ولكنه لم يستطع اللحاق بها .. كانت هذه هي رابع مرة في هذا النهار ... يسب فيها عم جمعه ساقه الخشبية ولكنه يحس هذه المرة انه ظلمها ... فالسيارة المجنونة اسرعت فجأة في سيرها كأنها تفر منه ... وتحيل عم جمعه وجه صاحبها الاحمر السمين وياقته المنشية .. وابتسامة صفراء شامتة تتراقص على شفتيه وتسخر منه وهو لا يستطيع اللحاق بالسيارة .. ورآها من بعيد تبتلعها زحمة الشارع الكبير .. فيضرب على الارض .. ثم وصل الى المراحيض وتذكر السيجارة خلف اذنه فاشعلها ... كان الموقف ما زال مليئا بالسيارات على كل لون ولكنه قال لنفسه (آهي عربيات مستقعه زى الخشب المبله وكلها حتبين وبجي الواد عكاشه يستلم الموقف ما تشوف لك موته قبل ما يعلى الموت) ثم اخذ نفسا طويلا من السيجارة وعاد يقول لنفسه

(استغفر الله .. ذكره جليل ومنصور يبقوا رجاله عال .. وتستريح يا جمعه ..)

وقطعت فجأة خواطره ، يد توضع على كتفه وصاحبها يقول

ـ مساء الخير يا عم جمعه ...

كان الواد عكاشه قد جاء ليستلم الموقف مكانه .. فغادر عم جمعه سقف المراحيض وهو يضم معطفه المرقع حول بدنه الصامر وراحت ساقه الخشبية تدق في خطوها المكدود ، الاسفلت اللامع نماء المطر ثم ... ابتلعته زحمة الطريق الكبير ...